(٢٣)

# العبودية في الله
# ما تكون وكيف ولمن تكون
# (إشارة إلى انتقال الأخ أحمد قدري سليمان)

**حديث الجمعة**

**٢٦ ذو الحجة ١٣٨٠ هـ - ٩ يونيو ١٩٦١ م**

رحمه الله.. فقد كان خيرا للإسلام حيا وميتا..

رحمه الله متكلما.. ورحمه الله صامتا.. ورحمه الله أبلغ في صمته منه في كلامه.. رحمه الله في جهله و رحمه الله في علمه.. رحمه الله مفارقا بعالمه من غلافه، وبكونه من ظلامه.. و رحمه الله عائدا بنفسه ليدرك أن الذي فارق بجدته من أمر جمعه، ما كان إلا ما يبغي من حضرة ربه[١].

إن الذي لا يدرك الله في حاضر، لا يكون إلى الله في قابل، وإن الذي لم يدرك الله في أمسه، لا يبعث به مدركا في يومه. إن الله معية الإنسان أينما كان الإنسان، ومتى كان الإنسان، وأيا ما كان الإنسان.

إن إدراك وحدانية الله إنما هي في غضبة الرحمن، وتوبة الشيطان في الإنسان، بمسح النفس عن العصيان، يوم تأتي لمحة اليقين بسكرة الموت لظلام نفس الإنسان، قرين لمحة البعث لعلم الإنسان بالإنسان في الإنسان، في ثوب من صنع الإنسان نسج من نور الإيمان يملكه أو لا يملكه العنوان، ويظهره أو لا يظهره الجسمان.

إن الذي لنا أن نعرف، وإن الذي لنا أن نطلب، وإن الذي يمكن أننا به نشرف، إنما هو أمر العبودية لله، ما تكون، وكيف تكون، ولمن تكون، ومع من كانت، ولمن هي كائنة؟

إن رسالة محمد ما كانت إلا محمد. وإن كتاب محمد ما كان إلا حديثا عن محمد، من قديم لمحمد، ومن أقدم منه من محمد، إلى ظاهر من محمد، وخفي من محمد، في إنسان محمد.

وما كان إنسان محمد إلا الغاية والهدف الذي يُطلب، أو الذي يجب أن يُطلب، أو الذي طُلب، أو الذي تحقق لمن طَلب للإنسانية من يوم أن أدركت الإنسانية لوجودها بالأنانية، وطلبها لمن أبدع أناها وأكرم معناها.

ما كان أمام محمد منظورا له، إلا ما كان خلف محمد مبعوثا منه.. وما كان عن يمين محمد عونا له إلا ما كان عن يسار محمد ظاهرا منه.. وما كان فوق محمد مظلا له إلا ما كان تحت محمد محمولا منه.

وما كان فوق محمد إلا ما كان تحت محمد.. وما كان عن يمين محمد إلا ما كان عن يسار محمد.. وما كان خلف محمد إلا ما كان أمام محمد.. لقد كان محمد نقطة حق لدائرة محمد في اللانهائي من الله.

إن محمدا في محمد، وإن محمدا لمحمد.. حق واحد، وأمر واحد، وذات واحد، ودائرة واحدة، وتكوير واحد، وانبثاق واحد، وقيام واحد، وتطور واحد، وبدء واحد، وختم واحد، ووجود واحد، ودهر واحد، وعلم واحد، وكتاب واحد.. هو لكل واحد، ما وحَّد الله فكان به واحدا.

لقد كان الدين من قبل محمد أن يطلب العبد ربه، أو الابن أباه، أو الفرع أصله، أو المخلوق خالقه، لا يكونه ولا يتوحده. فلما جاء الحق بمحمد، وجاء الرفيق الأعلى بما أنزل على محمد، وقام الحق بقديمه وحاضره بقيام محمد.. كان هو قديم الطلب من الجنس المطلوب عند الطالبين. وما كان المطلوب بالطلب، إلا حق العبودية على ما عَرَفها محمد وعرَّفها محمد.. لقد طلبوه باسم الآب وباسم الأب، وباسم الرب، وباسم قدس الأقداس، وباسم الروح القدس، وباسم وجه الحق، وباسم آدم الحق، وباسم الإنسان، وباسم العنوان، وباسم الناموس، وباسم الآله، وباسم الإله، وباسم الذكر، وباسم الله.. فلما جاءهم ما عرفوا.. فلما جاءهم عبده وكتابه وعلمه وكرسيه وعرشه وقلمه وقدرته وحكمته وعلمه ووجهه وحضرته.. عبدا لما عرف.. عبدا لما وصف.. عبدا لمن به وُصف.. أنكروه وجحدوه فما والوه، ولا على طريق تابعوه، ولا على حق تأملوه، ولا على طلب للحق خبروه، أو محاولة لبحث أنفسهم على نفسه طابقوه، أو على بصيرة أدركوه في أمر أنفسهم إليه وجهوها فأبصروه.. إنه خلقا وعوه، وشرفه أن يكون خلقا كما وصفوه، ولكن سعادة الخلق في أن يعرفوه، حقا ما أدركوه، وخالقا ما أنصفوه.

ولو أنهم على أنفسهم بايعوه لشهدوه، مبعوثا في قيامهم لسعدوه، أوجدهم ما أوجدوه، وكانهم ما كانوه، وحققهم ما حققوه، وخلقهم ما خلقوه، وتجلى بهم ما تجلوه.. عنوانا لمن إليه وجههم وله في نفسه عبَّدهم، وبحقه حققهم، وبقدرته جددهم، وبحكمته طورهم، وبرحمته عالجهم، وبنعمة الله أغناهم من فقرهم فأسعدهم.. ضالين هداهم، ويتامى آواهم، وعائلين برحمة الله وجوده أغناهم..

تخلق بأخلاق ربه، وخلّق بأخلاق ربه، خلقا له، وعرَّف الله في ربه وفي نفسه وفي قومه وفي الإنسان.

إن الله بديهية الدين على ما يجب أن تكون.. ذاته ذاتك وإحاطته ما فيك وما حولك، وسره سرك، وعماؤه جهلك، وكتابه علمك، وهديه ضميرك.. لا تبحث عن الله ولكن ابحث عن نفسك به، ابحث عن عملك، ابحث عن صفائك.. ابحث عن ربك، ابحث عن سعيك، ابحث عن هرولتك، ابحث عن طوافك، ابحث عن اعترافك، ابحث عن توبتك، ابحث عن بابك، ابحث عن بيتك، ازدلف بنفسك، أقم في أمانيك بمِنى من ربك.. لا تيأس، لا ترتاب، لا تظن، لا تفارق عرفاتك، لا تنساق وراء نزواتك.. خاصم ظلامك، صالح نورك، صاحب سرك، اذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة.. لا تجهر بألوهيتك واجهر بعبوديتك.. لا تكتم عن ضميرك وحدانية الله لك، ولكن لا تظهر بوحدانية الله لك على الناس.. واعلم أن وحدانية الله فيهم على ما هي فيك، وعاملهم على ما ترجو لنفسك من معانيك.. إن كنت ترجو أن تكون وجها لله، الله من ورائك محيط، فعاملهم على أنهم حققوا ذلك لأنفسهم، وأن الله من ورائهم محيط، وأنهم وجوهه بين يديك، وأنهم وجوهه مما وراء ظهرك مبعوثة عندك لترى.. أينما تولى فوجهه، إن كل شيء وجهه، إن المادة وجهه، إن النار وجهه، إن الرياح وجهه، إن الطبيعة وجهه، إن الناس وجهه، إن الجن وجهه، إن الملائكة وجهه، إن الأفلاك وجهه، إن كل شيء يدل عليه هو وجهه.. فلا تحدده ولا تقيده، ولا تغيبه، ولا تصفه، ولا تتصفه وإن كنت فيه وجهه أو وصفه...

انظره بعينه في عين عينك، واسمعه بأذنه في أذن أذنك، وصافحه بيده في يد يدك، وسر فيه بقدمه في قدم قدمك، واعلمه بعلمه في علم علمك، ولا تجحده في وجوده في وجود وجودك، ادخل في حصنه بألوهيته وفقدك، آلها به، عارجا إليه، مرتقيا فيه، خفيا في ارتقائك، ودانيا به في تدانيه متواضعا في دنوك، خفيا في تواضعك، وصن سره إن أسر إليك، وأمره إن ائتمنك عليك، فهو خفيا في سرك من سره.. خفيا في أمرك من أمره.. ظاهرا بوصف خلقه.. مؤمنا بقائم حقه.

إن إله ذاتك هو غيب وجودك وباطن معناك.. إن أَلُهتَ فقد غبت وتعاليت. إنك إن أنكرت على ماديتك في حاضرها وقابلها، أن تكون معناك، وعَلِمتها عَالَما لوجودك، وكرسيا لعلميتك، وعرشا لمعناك عبد الله على ما يليق بوصف العبد له، وقيام العبد به، وعلمية العبد عليه.. فقد أحييت هذه الذات، أحييت هذا الجلباب، أحييت هذا الغلاف، أحييت هذا الحجاب لله، أحييت هذا العالم. فإن دَبت فيه الحياة كان بيت طوافك، وغرفة اعتكافك، وقلب ذاتك، ومركز دائرتك، ودائرة معانيك.

تأملوا رسول الله، وقد أصبح الدنيا بمعناه لمحدث مبناه، فهو وجود في الوجود بقديم معناه.. تأملوه وهو يقول عن محدثه، وتأملوه وهو يقول عن قديمه.. تأملوه وهو يقول (زويت لي الأرض)[٢] (وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)[٣] فأصبحت الأرض بيت طوافه ومسجد اعتكافه محدثا من قديمه.. وتأملوه وهو يقول عن قديمه بمعناه من الحق، علما على الأقدس من ذات معبوده لذات موجوده معرفا له بالرفيق الأعلى، (كان الله ولا شيء معه ثم خلق الخلق وهو الآن على ما عليه كان)[٤]. ما تحدث الرسول في هذا الحديث إلا عن قديمه، وقد علمت نفسه ما قدمت، وعلمت بما أخرت ما كان لها فأحضرت، فأدركت أنه من خلالها في محدثها يتواجد قديمها في مستقبلها، على مثال مما أدركت في قائم حالها بقيوم أحوالها...

فعرَّف الله واحدا لا يتعدد، واحدا صمدا لا يتجدد، يظهر بصفاته ويعلِّم بآياته، ويحقق بتجليه، ويسعد بوحدانيته، ويمسح بأحديته. هو وعبده لا يتعددان، وهو عين موجوده لا يتواجدان.. سرمدي أزلي قائم أبدي.. الإنسان فيه كل شيء فيه وعظمته له في إدراكه لمعانيه...

الإنسان فيه إرادة، ظهرت بطاقة، تسربلت بخمول.. تحررت بحياة.. تطورت بوجود.. تناسلت بأكوان.. توحدت بإنسان .... قامت بمعناها في شاهد ومشهود، وموجد وموجود ومتواجد ووجود من مبناها.

إن كلمة الله هي بداية الإنسان. إن كلمة الله هي اسم الإنسان. إن الإنسان لله عنوان. فهو من أصله كلمة عبرت عن إرادة.. أي لفظ أبان عن إرادة.. إن الإرادة هي الإنسان، وإن ظاهره هو العنوان. إن ما ينبعث في سويداء القلب من طاقة محركة لصمامه إنما هو ظاهر الإرادة من إنسانه. وإن القلب في حجابه، حجاب صيانته من ذاته، هو بداية الإنسان في وجوده بصفاته...

إن الإنسان يبدأ من فؤاده في تواجده برشاده.. العقل نواته، والتطور رشاده، وتطوير قلبه بداية حياة ذاته، ومطابقة قلبه لذاته بداية تطوير مفرداته، وانطلاق قلبه من سجن مشكاته لملكوت غيبه، هو استواء إحاطته من عقله في بيت قلبه، وانقضاء غيبه، بقيام قيومه، وجها بظاهره، لمعناه بباطنه، فهو بمعانيه من حضرته قائمة، كلمة لله دائمة.

يا كل كلي كن لي.. إن لم تكن لي فمن يكن لي[٥]..

هكذا قال القائلون، وأدرك المدركون، ووحد الموحدون، وخاصم بجهلهم الغافلون، رحم الله منهم الراحلون، وغفر لهم في الحاضرين، وأعادهم إلى بابه، وهداهم إلى سلم عروجه، في مشاهدته بنفسه

في نفسه، شاهده ومشهوده.. على ما أعلموا في دناهم، ولم يتعلموا ممن هداهم، وعلى ما علموا في أخراهم، فتألموا ولم يتكلموا.

إن كمال الحياة لطالبها في عالمكم أقرب، وقيامها من حضرتها في عالمكم أصوب، واسترشادها إلى رشادها، في قيامكم لرشادكم بالطريق إليه، أقصر وأرقب.. إن الله يبحث عن عبده على أرضكم كما يبحث العبد عن ربه من بينكم.. (من آذاني وليا فليأذن من الله بحرب)[٦].. {إن وليي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين}[٧] إنهم أهل البقاء من وجوهه، في حضرة وجوهه، تحتفظ بالبقاء وجها له، أو تظاهره سافلين عن عالم بقائه، وجوها له.

آمنوا أن الله معكم في محبتكم للناس، وأن وجه الله ينظر إليكم من عيون الناس.. فلا تستخفوا من الناس، واعلموا أنكم لستم خافين على الله بنظركم لأنفسكم وبنظر الناس إليكم.. تستخفون من الناس ولا تستخفون من الله - وهو معكم -؟ ولو أنكم علمتم أنكم في الصغير والكبير من شأنكم تحت سمعه، وتحت نظره، وتحت يده، بسمعكم ونظركم وحسكم لاستحييتم أن تأتوا اللئيم، ولتشجعتم أن تأتوا الكريم من الأفعال.

بهذا جاءتكم الأديان وجاءتكم به رسالة الفطرة على وضوح وتمام، وجاءكم رسول الفطرة على دوام بيان وعلى علم قيام في علم لا ينقطع، على تواضع، وفي تواضع على رحمة، وفي رحمة على قدرة، وفي قدرة على حكمة، وفي حكمة على وصلة، وفي وصلة على غير انقطاع.

فهل علمناه الخير؟ وهل وردناه أحواض كل خير؟ وهل حملناه بمعنانا منه أواني للخير؟ وهل مددناه أيدينا لطالب الخير بالخير؟ كل هذا كان لنا به، وكل هذا ما زال بنا كائن به، وكل هذا لنا يكون به، فهل تواصيناه في الله بحق؟ وهل تحابباه مع وجوه الله على حق، وعلى حب للحق، قائما لا غيب له، لا نهائي لا إحاطة به، قيوم لا تقصير منه، فدخلنا في حصن لا إله إلا الله فآمناه ووحدناه فكفاه، وكفاه فرحمنا أنفسنا، وسعدنا أزماننا ودهورنا؟

لا إله إلا الله ولا معبود بحق سواه ولا قائم بنا إلا إياه..

عباد الله.. وجوه الله.. كلمات الله.. أسماء الله.. أمر الله.. خلق الله، استغفروا الله وتوبوا إلى الله.. اسألوه السلم والسلام منه.. اسألوه أن ينزل سكينته على قلوبكم وقلوب المؤمنين، وأن يرزق هذه الأرض السلم والسلام بين أهلها، وأن يجنبهم الفرقة والخصام، غافرا راحما معفيا.. اسألوه أن ينشر برحمته، برسوله، بكرمه، بسلامه، بتدانيه، بوجهه، بقائمه وقيومه، بعبده.. فينا الرحمة والحياة.. اسألوه أن ينشر فينا نوره، وأن لا يحرمنا هديه، وأن يُسري فينا أمره، وأن يقوِّمنا طاعته، وأن لا يحرمنا

نجدته، وأن يقيم بنا لنا في أبنائنا وأزواجنا وأصولنا من آبائنا وإخواننا من أخلائنا قيامه وقيومه.. حتى يعلي بنا كلمة الحق والدين، وينشر بنا نور الحق واليقين، وأن يجمعنا ويجمع بنا أمة خير للعالمين، تُحيي به يوم دين، ويوم يقين، ويوم قيام لرب العالمين، تدرك الساعة في ساعتها، والقيامة في قيامتها، والقيوم في قيامها.. لا إله إلا الله..

## أضواء على الطريق

من هدي القرآن الكريم:

١:

- {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون}[٨].

٢:

- وهو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٩].
- {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}[١٠].

٣:

- {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}[١١].
- {إنا أعطيناك الكوثر فصلِ لربك وانحر}[١٢].
- أمت.. أمت. وانبعث فيمن أمت.. {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}[١٣].
- {ومن الليل فتهجد به نافلة لك}[١٤].
- {لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر}[١٥].

٤:

- {أُدعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة}[١٦].
- {من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}[١٧].
- {أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين}[١٨].

## مصادر التوثيق والتحقيق

١ إشارة إلى انتقال الأخ العقيد المهندس السيد أحمد قدري سليمان عضو الجمعية الإسلامية الروحية ونائب الرئيس منذ عشرة أيام.

٢ من حديث شريف: "إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها فإنَّ أَمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها وأُعطِيتُ الكَنزَيْنِ : الأحمرَ والأبيضَ... أخرجه مسلم في صحيحه.

٣ من الحديث الشريف: "فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.

٤ حديث شريف: "كان اللهُ ولا شيءَ معه، وهو الآن على ما عليه كانَ". المحدث: ابن تيمية، المصدر: مجموع الفتاوى. كما أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق بلفظ: "كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض."

٥ من قصيدة للحلاج.

٦ من حديث قدسي: "إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ." صحيح البخاري.

٧ سورة الأعراف - ١٩٦

٨ سورة آل عمران - ١٠٤

٩ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩

١٠ سورة الفتح - ٢٩

١١ سورة الأنبياء - ٣٤

١٢ سورة الكوثر – ١، ٢

١٣ سورة الأنبياء - ١٠٧

١٤ سورة الإسراء - ٧٩

١٥ سورة الغاشية – ٢٢، ٢٣

١٦ سورة النحل - ١٢٥

١٧ سورة الكهف - ٢٩

١٨ سورة يونس - ٩٩